مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٤/٢/٢٣

مدافـــع أكتـــوبر

مدفـــع .. كل ١١ مـــترا و ١٧٥ قنبـــلة كل ثانيـــة

الحقيقة انه منذ يوليو عام ١٩٦٧ بدأ اعداد المدفعية لاداء دورها .

وبدأ اعداد الدراسات عن مسرح العمليات المقبل واحتياجه من المدفعيات والاعيرة .

كان لابد من توفير مدفعية واعيرة لتدمير تحصـــينات خط بارليف وفتح الثغرات فى حقـــول الالغـــام والاهم تحقيق التفوق فى حجم النيران لستر تقدم القوات .

وكانت هناك مشكلة مواجهة مدرعات العدو التى تعتمد عليها استراتيجيته ومواجهة اللحظات التى تلتقى فيهـــا قوات المشاة ـــ بعد اقتحامها قنـــاة السويس وبدء الاستيلاء على كل مواقع خط بارليف المنيع ـــ مع مدرعات العدو قبل أن تتاح الفرصة لمدرعاتنا لعبـــور القناة ..

وكان الحل الذى وجـــدته المدفعية وبدأت تضعه موضع التنفيذ هو بنـــاء مدفعية مضادة للدبابات قادرة على صد هجمات العدو المدرعة .

كذلك .. بدأت المدفعية تخطط لاستخدام الصاروخ الطائر والقاهر بعيد المدى للوصول الى عمق العدو .

وخلال هذه المرحلة أيضا بدأت المدفعية تركز على استخدام معدات الاستطلاع الحديثة والحواسب الالكترونية لاكتشاف وتحديد مدفعية العدو وادارة النيران عليها فورا .

وكانت قيادة المدفعية تؤمن كما تؤمن كل القيادات المصرية أن السلاح بالفرد وليس الفرد بالسلاح ، ووضعت ايمانها فى برامج تدريب متصلة لبناء المقاتل المتخصص على كافة المستويات واستهلكت كميات كبيرة من الذخيرة الحية رغم الحاجة اليها وقبلت خسائر فى الارواح والمعدات من أجل توفير واقعية التدريب .

وأجريت عشرات ومئات المناورات لجميع المستويات بالذخيرة الحية مع التدريب على ادارة النيران وسيطرة القائد على عدد كبير من وحدات المدفعية والمناورة بها فى صورة قريبة جدا من صورة الحرب ، ووصل الامر فى التدريب الى امكانية السيطرة وادارة نيران مدفعية جيش ميدانى .

وركزت المدفعية على تدريب أطقم المدافع والصواريخ المضادة للدبابات فمثل هؤلاء الرجال المرأة من الدروع عليهم مواجهة دروع العدو .. واذا كان ظهور الدبابات قادرا على اثارة الفزع للعناصر المشاة فيجب تدريبهم على مواجهة هذه المواقف بثبات .. ليس ذلك فقط بل والتحكم فى نيرانهم لتدمير العدو ..

واذا كان الميدان لا يسمح باطلاق النار أكثر من مرة فعليهم اجادة استخدام مدافعهم وصواريخهم وتدريبهم على أصابة العدو منذ الطلقة الاولى أو الصاروخ الاول ..

وامتلأت هذه المرحلة بالابتكارات التى توصل اليها الرجال ، عشرات الاراء الجديدة تمت دراستها ووضع الصالح منها موضع التنفيذ .

أقامت قيادة المدفعية موقعا حصينا مشابها لمواقع خط بارليف فى أحد ميادين التدريب وتم اجراء أكثر من عشرين تجربة للوصول الى أفضل الاساليب سواء للقصف بالنيران أو فتح الثغرات فى حقول الالغام ..

• ولقد كانت معارك الاستنزاف عامى ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ فى الحقيقة ذات فائدة عظيمة للمدفعية ، فقد أعطتها الفرصة كاملة لتحديد مواقع مدفعية العدو واسلوبه فى استخدامها واستطاعت أن تعرف أسلوب استخدام العدو لاحتياطياته وأماكن وجودها . كما درست نظم العدو الدفاعية ودفاعاته المختلفة بنقط الضعف والقوة فيها وتمكنت من رصد الاهداف المختلفة وتحديد مسافاتها واتجاهاتها بدقة .

كانت فترة دراسة علمية وعملية ، فبعد كل اشتباك كان يجرى تحليل علمى دقيق لاستخلاص الدروس المستفادة وأوجه القوة والضعف وتعميم النتائج على كل الوحدات .

ومنذ بدأ عام ١٩٧٣ بدأت مرحلة التخطيط للمعركة .. والتخطيط عادة يمثل أصعب وأدق المراحل لضرورة

ايجاد حل لكل المشاكل المنتظر مواجهتها طوال المعركة وراعت القيادة أثناء التخطيط .

● معاونة الوحدات القائمة بالهجوم بأكبر كمية ممكنة من النيران بما يضمن لها سلامة الوصول الى أهدافها تحت ستر نيران المدفعية .

● وجود احتياطى للتأثير به فى المعركة فى اى وقت وأى مكان .

● تدمير خط بارليف وفتح الثغرات فى حقول الالغام والموانع فى وقت قصير .

● قدرة أطقم الصواريخ والمدفعية المضادةللدبابات على صد عجمات العدو المضادة بالدبابات طوال الفترة السابقة على وصول المدرعات المصرية شرق القناة .

● مرونة الاستخدام والقدرة على حشد نيران المدفعية فى أى مكان مع تغطية مواجهة القناة بالكامل بالنيران

● تدمير نسبة كبيرة من قوات العدو المدرعة خلال الايام الاولى .

● ارباك قيادات العدو ومراكز سيطرته فى العمق .

● ضمان استمرار النيران والمعاونة فى العمق .

كذلك فقد تضمن التخطيط حشد الاف من قطع المدفعية المتنوعة على مواجهة قناة السويس . وكان هذا الرقم المنشود يمثل أضعاف عدد المدافع التى تم حشدها فى معركة العلمين فى كلا الجانبين المتحاربين — لتحقيق التفوق على مدفعية العدو لضمان سيطرة نيران المدفعية المصرية على مسرح العمليات .

واشتملت الخطة على توقيتات العمل بساعة بساعة على كل محور مع مراعاة تحقيق التفوق على العدو المحتمل مواجهته طوال المراحل المختلفة .

وبعد انتهاء مرحلة التخطيط بدأت مرحلة الحشد .. وهى أولى مراحل التنفيذ ، **وكانت هذه المرحلة مرتبطة بخطة الخداع التعبوى على مستوى القوات المسلحة ، وكانت الصعوبة هى كيفية حشد هذا العدد الهائل من وحدات المدفعية دون أن تلفت نظر العدو اليها .**

وكانت خطة الخداع التعبوى للقوات المسلحة دقيقة حتى أن العدو لم يتنبه لدخول المدافع الى مواقعها خلال المرحلة الاخيرة من الاستعداد أو لتشوين الاطنان من الذخيرة التى تحتاجها المدافع فى مرابض النيران .

وراعت القيادة السرية الكاملة فأخفت على القادة من مختلف المستويات المهام الحقيقية حتى الساعات الاخيرة.

وصباح السادس من اكتوبر العاشر من رمضان كانت منطقة المواجهة هادئة تماما .. هناك عشرات من الجنود « يمصون القصب » .. ويأكلون البرتقال ويواصلون حياتهم العادية .. وكان هذا أيضا من خطة الخداع التعبوى.. وكان هناك العشرات من الجنود يسبحون فى مياه القناة فى مواجهة العدو ..

فى نفس هذا الوقت كان القادة وضباط هيئة الاركان يأخذون أماكنهم .

ودارت العجلة .. عاد المدير الى مركز قيادته ليأمر باعداد الوثائق المطلوبة وليبلغ قادة مدفعيات الجيوش « بساعة الصفر » .

وانتقل البلاغ من المستويات الاعلى

من القادة الى المستويات التى تليهم وفقا لدور كل منهم .

وأصدر المدير أمرا ببدء التمهيد النيرانى وفقا للعملية « بدر » .

وقبل ١٥ دقيقة من ساعة الصفر كان هناك آلاف من المدافع بالاضافة الى مجموعة صواريخ أرض — أرض متوسطة المدى تفتح أبواب الجحيم على مواقع العدو المختلفة .

كان معنى هذا أن هناك فى كل ١١ مترا مدفعا يطلق نيرانه وهو أكبر رقم شهده ميدان الشرق الاوسط .. سواء من ناحية العدو او كمية النيران واذا علمنا أن الاتحاد السوفيتى قد حشد ١٠ آلاف مدفع فى جبهة روسيا البيضاء التى أمتدت الى برلين أى بمعدل مدفع كل ٤ أمتار فان هذا الحشد قامت به عشرة جيوش .. أما الحشد المصرى فقد قام به جيشان فقط ..اى أنه كان أكبر حشد مدفعية فى العالم .

وانكسر الصمت الذى ساد الجبهة خلال فترة الصباح مع دوى نيران المدفعية وبدأت مراكز مراقبة العدو التى أقامها بارتفاع ٢٤ مترا شرق القناة لمراقبة قواتنا تتهدم وتسقط .. وبدأت رؤوس العدو تختفى خلف الدشم الحصينة .. وهرع كل أفراد العدو الموجودين فى العراء الى دشمهم للاحتماء من نيران المدفعية .

كان تصورهم جميعا أنها قصفة مدفعية تعبيرا عن الغضب سرعان ما تهدأ وتعود الامور كما كانت .

وبدأت بلاغات المواقع المختلفة من خط بارليف تتصل بالقيادات لابلاغهما بالامر .

وخلال الدقيقة الاولى من التمهيد النيرانى سقطت على مواقع العدو آلاف من الدانات بمعدل ١٧٥ دانة كل ثانية ..

واستمرت البلاغات تصل الى مركز القيادة عن فتح الثغرات فى المناطق المخططة فى المدافع والاسلاك الشائكة للعدو على الميول الامامية للساتر الترابى والنقط القوية .

وفى نفس الوقت كانت هناك مجموعات من رجال الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات والمدافع المضادة للدبابات والدبابات ترتقى الستر الترابى غرب القناة وتأخذ مواقعها لتلقى بنيرانها على العدو ..

وعند ساعة الصفر بدأت موجات الاقتحام الاولى تشق مياه القناة بقواربها فى اتجاه الضفة الاخرى وقد رافقتها ضباط ملاحظة مدفعية ووحدات صواريخ موجهه ومدافع مضادة للدبابات تابعة لسلاح المدفعية ..

وتوقفت نيران المدفعية فى الوقت المحدد لها عن ضرب الساتر الترابى والمواقع الحصينة فى لحظة وصول المشاة الى الضفة الاخرى ..

ان المعدلات المالية تقضى بتوقف التمهيد النيرانى عندما تكون المشاة على مسافة ٤٠٠ متر أو ٣٠٠ متر على أفضل تقدير حماية لافراد المشاة

من شظايا دانات المدفعية .. لكن خطة التمهيد النيرانى وضرورة استمرار القصف الى أقرب نقطة وآخر لحظة أدى الى استمرار القصف حتى كان المشاة فى بعض المواقع على مسافة ٢٠٠ متر وفى البعض الاخر كانت على مسافة ١٠٠ متر ..

« لقد نجح التمهيد النيرانى تماما كما خطط له وكانت نتائجه أكثر مما كنا نتوقع » .. « لقد ألحقت نيراننا بالعدو خسائر جسيمة فى الارواح والمعدات وتم تدمير جميع تحصينات العدو الميدانية وتهدمت كل مداخل ومخارج النقط القوية لخط بارليف ، واستحالت الى مقبرة على من فيها » كما نجحت المدفعية تماما فى اسكات مدفعية العدو وشل جميع احتياطياته »

ولقد أكد جميع القادة أن مدافع العدو لم تتمكن من العمل الا بعد أكثر من ساعة وربع من نجاح الموجة الاولى لقواتنا فى اقتحام القناة والاشتباك مع العدو .. وكان هذا راجعا الى كفاءة التمهيد النيرانى للمدفعية .. وبعدها استمرت قصفات المدفعية بأنواعها وأعيرتها المختلفة تتقدم أمام القوات المتقدمة .

وقد نجح رجال ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع موجات الهجوم الاولى من تصحيح نيران المدفعية مما جعلها أكثر دقة وفعالية .

وهناك دور كبير جدا لعبه رجال المدفعية من أطقم الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات .

لقد وصلت جماعات منهم خلف خطوط العدو وأخذت مواقعها على طرق تقدم احتياطياته بالتعاون مع رجال من الصاعقة والمشاة واستطاعت أن تصد وتوقف كل محاولات العدو للتقدم بدباباته لمنع قواتنا من انشاء رؤوس الكبارى ودفعها الى الضرب مرة أخرى

وقفوا ببسالة واصرار واستطاع الرجال العراة من الدروع أن يفرضوا على العالم أن يعيد النظر فى أساليب استخدام الدبابات ..

كانوا وكانت صواريخهم سطورا جديدة فى تاريخ العسكرية المصرية والعالمية .. فكسرت عشرات الموجات المعادية أمام صلابتهم خلال الساعات الاولى للقتال .

عبده مباشر